شركة نفط الشمال... موظفون من أبناء شعبنا يتحدثون

اجرى اللقاء : عامر بولص

موظفون.. جل عمرهم اعطوه خدمة للشركة والوطن.. عشرات السنين وهم في تواصل – في الالتزام – الجدية – حب العمل – الالتزام باهم المباديء التي يؤمنون بها في العمل وهي الاخلاص والدقة.. شركة نفط الشمال عرفت الكثير من ابناء شعبنا فقد كانوا الاكثرية في العدد في الأربعينات والخمسينات والستينات ولكن مع بداية السبعينات بدأت أعدادهم تقل بالاخص خلال الحرب العراقية الايرانية حيث اضطر العديد من الموظفين الى ترك الوطن هربا من الاضطهاد والظلم.. ولقد تم اقصاء العديد من ابناء شعبنا من وظائفهم من الشركة بسبب تهمة التبعية التركية والايرانية فحرموا من وظائفهم بالرغم من كفاءتهم وجديتهم وإخلاصهم للعمل، اضافة الى الخدمة الطويلة في الشركة. واليوم نلتقي مع من عاصروا جيل الستينات والسبعينات وهم موجودون الى يومنا هذا حيث التقينا مع السيد ابرم هرمز ابن الشماس هرمز يوخنا المعروف في المدرسة الاثورية الاهلية في كركوك .وهو من مواليد كركوك ١٩٤٧ تحصيله الدراسي دبلوم فني وحاليا رئيس مشرفين فني اقدم..

سالناه عن كل هذا العمر الطويل في الشركة، عمله، حياته، ونتائج ذلك العمل الطويل ؟

تخرجت في المعهد في عام ١٩٧٢ وبعد ذلك تم تثبيتي في شركة نفط الشمال وارتقيت بالدرجات الوظيفية الى يومنا هذا حيث انني ألان رئيس مشرفين فني أقدم . اعمل في إعداد خرائط تصميمية لنصب وربط مضخات ونصب عازلات نفطية ثلاثية الطور وعازلات الاختبار العازلة للنفط والغاز والماء. وأيضا إعداد خرائط تصميمية لجميع أعمال التكييف والتبريد.

الخرائط التصميمية بحاجة الى ملاكات ذوات كفاءة بالتصاميم لان الموهبة تتطور شيئا فشيئا والموهبة تطورت لدي قبل ان أتخرج في المعهد حيث استطعت وأنا طالب ان أقدم تصاميم جميلة ويشهد لها اصدقائي القدامى الذين كانوا معي.

وعن المكافآت التي حصل عليها يقول..

"لقد حصلت على مكافآت بسبب ادائي المتميز في الشركة للجدية والتفاني والاخلاص في العمل والمكافآة الاخيرة عندما قمت بدراسة(١٢) نقطة مع مدير هيئة المشاريع وكانت النقاط تتعلق بتطوير العمل في شعبة التصاميم الميكانيكية وقمت بشرحها نقطة نقطة وكانت هناك نقاطا تخص المدير شخصيا وكانت مفاجاة لي بعد اسبوع بان المدير خصص لي مكافاة مادية ولكن لم احصل عليها".

وعن اهمية الخرائط كأساس لتطوير العمل يقول:

"بالنسبة الى تطوير العمل والانتاج لاية محطة يجب ان تكون لدينا خرائط قديمة نعتمد عليها ولكن للاسف الشعبة الهندسية التي نحن فيها احترقت مرتين الاولى كانت في احداث عام ١٩٩١ حيث تم احراق شعبة التخمين والتعهدات (المقاولات) والثانية بعد السقوط في نيسان ٢٠٠٣ واليوم نحن نقوم بزيارات ميدانية وموقعية للتعويض عن ماحدث ونعتمد ايضا على بعض الخرائط الاحتياطية القديمة لبعض المواقع وليس جميعها.. وقبل فترة ايضا تم تفجير محطة التركيز الجديدة وكان تفجيرا هائلا وكان كارثة وقمنا بعدها باعداد تصاميم ربط جديدة للتركيز".

ويتذكر السيد ابرم هرمز مواقف جميلة مع اصدقائه في العمل حيث قال:

"لدي ذكريات جميلة مع زملاء لي في العمل وفي الصورة القديمة التي اتواجد فيها التقطت في السبعينات عندما كنا في معهد (TRAINING CENTRE) الذي تخرجت فيه وفي الصورة اظهر مع اصدقائي عصام انور في الهندسة المدنية وايضا نور الدين حسن وهو موجود في المرسم المدني وهما مشرفان فنيان قديمان والاخير هو غائب عنا وهو سركون منصور كشتو الان في اميركا ومع سركون لدي ذكريات جميلة اعتز بها امضينا سنوات السبعينات معا فكنا نستغل بعض الاوقات للقاءات مسائية وبالاخص في حدائق نادي عرفة ونادي المهندسين والمعلمين لقد كانت اياما لاتنسى فكنا نتبادل اسرارنا معا لقد كانت فترة الشباب التي لاتعود".

ويختم حديثه الشيق وهو يتساءل اين العدالة وخصوصا انه عمل بجد لاكثر من ثلاثين عاما قائلا:

"انني اعتبر خدمتي في شركة نفط الشمال بمثابة نضال طويل وشاق تركت بصماتي في كل موقع في شركة النفط ولكن هذا النضال ناسف ان نقول بانه نضال من دون فائدة لان من ابسط حقوقنا هو تمليك دور الشركة لنا الدور التي نسكن فيها ولم تتم لحد الان.. هل اننا لانستحقها بعد كل هذه الخدمة الطويلة في شركة نفط الشمال قدمنا لها جل شبابنا وتعب مشيبنا؟ فطردنا من بيوت الشركة بعد تقاعدنا وهو اكبر غبن يعانيه موظفونا اليوم الكل يعرف بانه لم يكن لدينا الحق في الحصول على قطعة ارض كباقي الموظفين الذين حصلوا على اراض وايضا على سلفة بناء دور، ففرصة حصولنا على ماوى فوتت بسبب وجودنا في الشركة واليوم بعد تقاعدنا سوف نطرد من بيوتنا بدون ان يكون هناك تخطيطا مسبقا لحل مشكلة بقائنا من دون ماوى. فهل هذا عدل؟ واعتبره الغبن الرئيسي لي هو عدم شمولي بالايفادات التي ترسل الى خارج القطر علما انني لم احصل عليها سابقا ولا بعد السقوط. هناك غبن عام نعانيه جميعنا وهو عدم الاهتمام بالملاكات الفنية حيث ان الموظف المناسب يجب ان يوضع في المكان المناسب".

وفي لقائنا الثاني كان مع السيد لويس بهجت الياس من مواليد القلعة في ١٩٤٦ بكالوريوس علوم كيمياء من جامعة السليمانية في عام ٧٤ – ٧٥ وكان زميله في الدراسة السيد يونادم كنا عضو مجلس النواب العراقي. وكان لنا معه هذا اللقاء الشيق..

تخرجت وتم تعييني في الشركة في عام ١٩٧٥ وفي دائرة العمليات حاليا انا فيها وانا الان رئيس كيمياويين وترعرعت من كيمياوي الى معاون الى كيمياوي اقدم ورئيس كيمياويين وعملت ٢١ سنة مناوبا بعدها ارتقيت الى ارتباط الصيانة وعملنا معالجة النفط الى درجات عالمية ومنها الى المصافي والتكرير هذا باختصار.

بالنسبة الى ابناء شعبنا المسيحي كنا الحقيقة اكثر بكثير من ما موجود حاليا وبالتاكيد يعرفنا الكثيرون من في الشركة باننا مجدون ونشيطون ومخلصون واذكر من اصدقائنا "ابراهيم و قسطو" هؤلاء كانوا اصدقاءنا في العمل فقسم من هؤلاء سافروا واخرون موجودون وقسم متوفون وقسم اولادهم يعملون في الشركة و اولادهم ايضا سافروا والاكثرية من المسيحيين كانت تسكن منطقة عرفة اضافة الى عوائل من القوميات الاخرى وكانت علاقاتنا معا جيدة جدا وكنا نزورهم ويزوروننا. ومع بداية الثمانينات بدات اعدادنا تقل شيئا فشيئا والاكثرية تركت بيوتهم في عرفة وايضا بسبب قلة الراتب في التسعينات قام بعض من اصدقائنا بالسفر الى الخارج بحثا عن لقمة العيش والبعض كانت لديهم معاناة من التبعية وانفصلوا كما يعرف الجميع ولايزال اليوم البعض منهم يترك الوطن وفي لقاءاتي واستفساراتي مع بعض من ابناء شعبنا كنت اسالهم الى اين؟ والاجابات لم تكن مقنعة.

كان معي اصدقاء مثل "راميل جميل وسيروب سركيسيان " سافروا والان في دول المهجر ولدي ذكريات جميلة معهم والكثيرون من اصدقائي يتحدثون عن الغربة والبعض يقولون اننا نسمع ان هناك مذابح في كركوك وعندما ياتون الى هنا ويجدون الوضع يتعجبون وان ما يرونه بعكس ما يسمعونه. والبعض قال لي ان من يقولون لكم تعالوا الى الخارج فانهم يحسدونكم فنحن بقينا هنا ومازلنا وسنبقى . الان اصبحنا حقيقة قليلين في الشركة . لدي ذكريات جميلة في عرفة وفي الشركة مع اصدقائي وجيراني ولازالت علاقات الجيرة جميلة الى اليوم لقد قضينا اياما ولياليا من دون كهرباء وكنا نلتقي مع الجيران سوية لتمضية الوقت وخاصة في فترة التسعينات .

معاناتنا هي اليوم في تمليك الدور المخصصة للموظفين وهناك محاولات من لدن الادارة في الشركة لحل هذه الاشكالية وانشاء الله سوف تكون نتيجة ايجابية .

وفي لقائنا الاخير مع السيد فرج دنو تحدثت معه عن حياته في الشركة واجمل ذكرياته وكان لقاءا رائعا فالسيد فرج اضافة الى وظيفته فهو شماس في الكنيسة وقد دعانا لحضور قداس له وقال:

فرج بنو جولاغ وفي الشركة يلقبونني ب "فرج دنو" من مواليد ١٩٥٥ وتعينت في الشركة سنة ١٩٧٥ حاصل على دبلوم فني من معهد النفط في اختصاص خطوط الانابيب "pipeline" في ١٩٧٦ أديت "خدمة العلم العسكرية" في ١٩٧٨ تم تعييني رسميا ومن ذلك اليوم الى الان انا في الخط العراقي التركي. في البداية كنت مشغلا للخط العراقي لدفع النفط الى ميناء جيهان التركي في البحر الابيض المتوسط وبعدها اصبحت مسؤول تشغيل الخط العراقي التركي .

تم وضع حجر الاساس لدائرتنا في ١٩٧٥ وبعدها في ١٩٧٧ بدا العمل رسميا بدفع النفط الى ميناء جيهان. في السابق كنا نضخ اكثر من مليون برميل يوميا. والان الانتاج لايصل الى "٥٠٠ الف" برميل يوميا تقريبا حسب اعتقادي . بالتأكيد الوضع الامني يؤثر على الانتاج وكلما كان الوضع الامني جيدا يكون الانتاج بحالة جيدة وترتفع الى اكثر من ٧٥٠ الف برميل يوميا . وتاثيرات حرب الخليج السابقة والاخيرة لازالت تلقي بظلالها على المصافي والشركة ككل . وهناك اجهزة ومعدات تعرضت للقصف ويصعب اعادة تاهيلها كالسابق ولكن المحاولات تتم لإعادة تأهيل الكثير منها وتجديدها وبالتالي الهدف النهائي جعلها افضل من السابق .

وفي عملي استطعت ان اقدم افضل ما لدي من اخلاص وتفان في العمل واليوم انني افتخر بادائي واداء اصدقائي الجيد في دائرتنا.

وفي بعض الاحيان وانا في البيت ومن خلال جهاز الهاتف اقوم بحل عقد كثيرة في مجال عملي الذي ذكرت فاي توقف في أي من الاجهزة الخاصة بضخ النفط اعالج المسالة بكل دقة وبحل نهائي . وفي بعض الاحيان البعض من اصدقائي يقولون "حصرة بقلوبنا نسالك سؤالا وما تعرف تجاوب" والان اكثر من ثلاثين عاما اعمل في نفس الدائرة فانا دائما اقوم بدراسة الخرائط لانعاش ذاكرتي فقط .

بالنسبة الى وجودنا في الشركة سوف اقول شيئا ففي فترة من الفترات كان لدينا مدير اسمه الاستاذ "ياسين" كان يقول "هذا الخط راح نسميه الخط العراقي الالقوشي" قال ذلك لان نسبتنا كمسيحيين كانت اكثر من الكل وفي دائرتي كنا اكثر من ٥٦ موظفا مسيحيا بالرغم من اننا كنا تقريبا ٨ موظفين القوشيين الا انه اختار التسمية كونها سريانية. فكنا جميعا اخوة نعمل معا نضحك معا وايضا نحزن معا وكما يقولون "في الحلوة والمرة معا". فكنا صباحا نذهب معا الى الشركة فكنت تجد التياري والالقوشي والجيلاوي والقلعاوي والبازي والعنكاوي وغيرهم، وكنا نستقل عربة القطار "حيث كان للشركة عربة قطار لنقل الموظفين" و كل واحد منا نفسيا يشعر بالراحة والسعادة .

ففي السبعينات عندما كنت تدخل الى الشركة وتجد اربعة جالسين فان ثلاثة منهم كانوا مسيحيين. وبرايي بدا عددنا يقل من فترة الثمانينات بعكس ما كنا في الخمسينات والستينات وايضا السبعينات.

واجمل ذكرياتي في الشركة كانت مع "يوسف عوديش عنكاوي" والبرت اسحاق "ابو هاملت" واكثريتهم مع الاسف سافروا الى بلدان المهجر واتذكر دائما عندما كانوا يطلقون علي" القوشنايا شاخينا" واليوم انني اتذكر الكثير من كلمات اصدقائي ففي العمل تعلمت من اصدقائي ان احب عملي حتى اسيطر عليه لا ان يسيطر لقد علمونا كيف نتعامل مع من لا يكون نشطا في العمل وكنت كثير التذمر من عدم مشاركة بعضهم لنا في العمل او هم خاملون فكانوا يقولون لي لاعليك تستطيع ان تعلمهم ان يحبوا عملهم. علمونا ان المال الحلال ياتي من اخلاصنا وتفانينا بالعمل تعلمنا ان لانكذب على مسؤولنا حتى ان كانت الحقيقة مرة. وبهذا اصبحنا حقيقة متميزين والى يومنا هذا مازلنا على نفس المبادئ. وفي الجدية والاخلاص اتذكر كان معي شخص اسمه "وليم دانيال البازي" في حياتي لم اجد شخصا مقداما في عمله اكثر من وليم البازي حيث في الليل ان كانت الساعة الثانية او الثالثة ليلا وان كان الجو جميلا او ممطرا سوف تجده يقوم بتنظيف المكائن والاجهزة والمعدات وعندما نعارضه ونطلب منه ان يرتاح كان يجيب "ان لقمة عيشي من هذه كلما اكثرت بالعمل كلما شعرت بسعادة اكبر" واتذكر انه كان هناك البرت منصور حيث على يده تم وضع حجر الاساس لدائرتنا. لقد فتحنا اعيننا في الشركة ونحن نرفع سماعة الهاتف لن نسمع اولا سوى "بشينا – أي مرحبا بالسريانية" وبسبب هذه ظهر قرار حينها ممنوع استخدام اية لغة سوى العربية في الحديث في اجهزة الاتصالات. فقد كان لدينا موظف اسمه شمعون داود وكان في قسم الحركات الاتصالات والان هو في المهجر وكنت حينها بعد صدور هذا القرار في محطة T١ وهو كان في الحركات وفي اليوم الاول والثاني وايضا اليوم الثالث نتحدث بالعربية وفي اليوم الرابع لم يتحمل شمعون فقلب الحديث الى السريانية "ياخي اشتاقينا للغتنا".

شيء واحد يحز في نفوسنا وهو عدم تمليك دور الشركة لنا فهل ان موظف قدم كل هذه السنين من ايام عمره خدمة للشركة لايستحق دارا كان فيها اكثر من ٣٠ عاما؟ شيء واحد اجيب على هذا السؤال وهو ان الموظفين الذين يعملون معنا في الخط العراقي التركي فنحن نسمي شركتنا نفط الشمال وهم يسمونها " دي بو تاش" وهي تركية في الجانب التركي اذهب وانظر محطاتهم ومحطاتنا وحياتهم وحياتنا. فنحن نخجل عندما ندخل في دار الاستراحة لهم من النظافة والتبريد ووسائل الراحة حتى من الاكل فالاكل هناك ٢٤ ساعة. في عام ١٩٩٦ عندما تم فتح الخط وتحديدا كنا في فيشخابور كان معنا مهندسون اجانب كمراقبين دوليين من الامم المتحدة وكنا جميعا في بناية واحدة ونعمل جميعا في عمل واحد وهو قياس ضخ النفط ومراقبته تصور طعامنا لم يكن مثلهم علما ان تغطية نفقاتنا جميعا كانت باموال عراقية فكنا ننظر اليهم والى حالنا. حتى رواتبهم كان يحصل كل موظف اجنبي على "٣٠٠٠" الاف دولار اميركي بينما مجموع راتبنا لم يكن يتجاوز العشرين دولار في الشهر وربما اقل قليلا .

لكن يظل الغبن الوحيد الذي نعانيه اليوم هو عدم تمليك الدور "دور الشركة" لنا.. حيث ان من ابسط حقوقنا كموظفين قدموا للشركة خدمات لاكثر من ٣٠ عاما هو تمليك هذه الدور لنا.. وفي الختام شكري الجزيل لكم على حضوركم واتمنى دوام الموفقية لعملكم خدمة لشعبنا ووطننا.

آخر اليهود في بغداد: لم يعد لي مستقبل يبقيني هنا ولا فتاة أتزوجها *

بغداد: ستيفن فاريل

بلغة إنجليزية ركيكة، لكن بوضوح شديد، أكد أحد آخر يهود بابل الباقين في العراق أنه: "لم يعد لي مستقبل يدفعني للبقاء هنا". بصورة عامة، يبدو وكأن اليهود قد اختفوا تماماً من بغداد، رغم أن تاريخ وجودهم في البلاد يرجع إلى عهد النبي إبراهيم، الذي ولد بمدينة أور، والنبي يونس، وحتى نبوخذ نصر، الذي طرد اليهود إلى المنفى منذ أكثر من ٢٥٠٠ عام.

على صعيد الأرقام، نجد أنه منذ نصف قرن مضى، تجاوز عدد اليهود العراقيين ١٣٠,٠٠٠ نسمة. أما الآن، بات من الصعب جمع عشرة رجال يهود داخل بغداد، التي شكلت بؤرة تركز المجتمع اليهودي العراقي في ما مضى، وهو الحد الأدنى المطلوب لإقامة بعض أهم الشعائر الدينية اليهودية، بل وتمكن الخوف من نفوس اليهود العراقيين لدرجة أنهم يخشون الكشف عن عددهم الحقيقي، الذي قدرته الوكالة اليهودية الإسرائيلية أخيراً بسبعة أشخاص، بينما أشار أحد رجال الدين المسيحيين إلى أنهم ثمانية.

يذكر أن هذا العدد غير كاف لقراءة التوراة علانية، ذلك إذا ما افترضنا توافر مكان عام يجرؤ أي يهودي على قراءة التوراة فيه علانية، علاوة على أنه لا يسمح بإجراء مراسم "كاديش" "مناسبة للمتوفي".

ومن بين اليهود الذين بقوا بالعراق شخص في أوائل الأربعينات من العمر سبق له العمل في تجارة السيارات، ويصف نفسه الآن باعتباره "حاخاما وجزارا وأحد قيادات المجتمع اليهودي في العراق". ورغم أن الكثير من أصدقائه وجيرانه المسلمين يعلمون أنه يهودي الديانة "وكتب في وقت من الأوقات مؤكداً: إنني فخور بكوني يهوديا، لست أخجل من ذلك ولا أخفيه"، طلب عدم الكشف عن اسمه لتخوفه من أن يسفر ذلك عن تعريضه أو أحد أصدقائه للخطر. من أجل حمايته، سنشير إليه باعتباره حفيد صالح، نظراً لأنه سيكون من السهل الكشف عن هويته حال ذكر اسمه أو اسم والده. وقد أجرينا معه لقاءا صحفيا عبر تبادل المراسلات على مدار شهور عدة.

وفي إطار هذه المراسلات، أعرب حفيد صالح عن أسفه لعدم وجود مكان يمكن ليهود بغداد الاجتماع فيه، منذ إغلاق آخر المعابد اليهودية بالمدينة، معبد "مير تويج"، عام ٢٠٠٣ . ومنذ ذلك الحين، أصبحت مسألة تجمع اليهود علانية تنطوي على خطورة بالغة.

وكتب اليهودي العراقي يقول: "أؤدي الصلاة بمنزلي بسبب إغلاق المعبد منذ اندلاع الحرب حتى الآن. وإذا ما أعدنا فتح المعبد، سيتم استهدافه. ليس لي مستقبل هنا، فليس بمقدوري الزواج لعدم وجود فتاة ارتبط بها. ولا أستطيع ارتداء "كوفا" – طاقية اليهود المميزة– خارج المنزل. أما إذا رحلت عن العراق، سأتمكن من مشاركة الآخرين في الأعياد وأداء الصلوات في المعبد والبقاء مع أسرتي".

يحرص حفيد صالح على إخفاء هويته والعيش في هدوء بأقصى درجة ممكنة، لكنه عاجز عن إخفاء ديانته طوال الوقت، نظراً لأنها مسجلة في بطاقة هويته الشخصية، التي يجب أن يبرزها عند أي نقطة تفتيش. لذا، يحرص على البقاء بصورة رئيسة داخل حدود الحي الذي يقطنه، حيث يتمتع بحماية أصدقائه المسلمين الذين كانوا أصدقاء لأسرته على امتداد عقود. يبدي حفيد صالح حذرا بالغا، فبعد الاتصال به من خلال وسيط والتأكد من هويته عبر أقارب له بالخارج، وافق على الحديث معنا عبر الهاتف مباشرة، فقط لمدة لم تتجاوز بضع دقائق.

وحتى خلال هذه المحادثة، كان يقترح مجرد إقرار أسلوب أكثر أمنا لتبادل المراسلات وتغيير اسمه عن الاسم المعروف لدى العراقيين. ولا شك في أن مخاوف اليهودي العراقي مبررة تماما في مدينة لا تزال الجثث الملقاة بالشوارع مشهدا يوميا فيها، رغم تراجع أعداد مجمل ضحايا أعمال العنف.

فيما مضى، شكل اليهود قطاعاً ثرياً ونشاطا اقتصاديا داخل المجتمع العراقي. وفي كتاب "دليل العراق" الصادر عام ١٩٣٦، ورد ذكر "المجتمع اليهودي"، الذي بلغ تعداده آنذاك قرابة ١٢٠,٠٠٠ نسمة، جنباً إلى جنب مع العرب والأكراد والمسلمين والتركمان والمسيحيين واليزيديين والصابئة. تم إنقاذ هذا الكتاب من داخل إحدى مكتبات بغداد ويشير إلى العبرية باعتبارها واحدة من اللغات الست التي يجري التحدث بها داخل البلاد، ويصف العراق بأنه الأرض "التي يقف بها المسجد جنبا إلى جنب مع الكنيسة والمعبد". والآن، اندثرت معظم آثار اليهود على جانبي نهري "برات" و"هيديكيل"، وهما الاسمان العبريان لدجلة والفرات. ولم يعد للحي اليهودي بمدينة بغداد وجود. وعلى بعد ٨٠ ميلا جنوب بغداد، يوجد ضريح النبي "ذي الكفل" الذي يضم نقوشا عبرية. وأثناء زيارتنا للضريح ، شاهدنا عشرات المسلمين الذين تدفقوا على المكان تقديرا لصاحب الضريح باعتباره نبيا مبجلا. ووسط هذه الشظايا الضئيلة المتبقية من حضارتهم، تعيش البقايا المتخفية من اليهود. حاليا، يعيش حفيد صالح بمفرده، حيث توفيت والدته منذ حوالي عقدين وغادر شقيقه الأكبر البلاد عام ١٩٩١، وكان والده،٨٧ عاما، من بين آخر اليهود الذين نقلتهم الوكالة اليهودية من العراق بعد عام ٢٠٠٣، ما أدى إلى تضاؤل بالغ في أعداد اليهود داخل العراق.

أما غالبية أقاربه الآخرين، فقد رحلوا عن البلاد عام ١٩٥١، بين ما يزيد على ١٠٠,٠٠٠ يهودي فروا من العراق بين عامي ١٩٤٩ و١٩٥٢، وهي السنوات التي تلت قيام دولة إسرائيل. وحملت موجة الهجرة الجماعية تلك اسم "عملية عزرا ونهمياه"، في إشارة إلى القائدين اليهوديين اللذين أعادا الشعب اليهودي إلى القدس من منفاه في بابل بدءا من عام ٥٩٧ قبل الميلاد.

و من بين اليهود القلائل المتبقين في العراق، بعض أبناء الطبقة الوسطى، منهم طبيبان. بينما يعاني آخرون، منهم حفيد صالح، من الفقر والبطالة ويعيشون على المعونات. وأوضح حفيد صالح في مراسلاته قائلا: نلتقي ببعضنا البعض حال ظهور ظرف طارئ أو لمناقشة أمر مهم، أو حال احتياج أحدنا للمساعدة. ونعتني بأمر الأفراد داخل المجتمع اليهودي فحسب، وليس من ينتمي أحد والديه فقط لليهودية. ولا نعلم بأمرهم بعدما يرحلون عنا.

من ناحيتهم، يقول بعض اليهود إنهم بلغوا من السن عتيا بحيث أصبح من المتعذر عليهم مغادرة البلاد، بينما لا يرغب آخرون في الرحيل بعيدا عن أصدقائهم. ويتجاهل اليهود القليلون الباقون مناشدات أقاربهم وأصدقائهم في الخارج الذين يشعرون بقلق بالغ على سلامتهم في العراق، في انتظار صحوة في البلاد من غير المحتمل حدوثها أو تعرضهم للانقراض الطبيعي لعوامل ديموغرافية أو ربما لنهاية أسرع.

* نيويورك تايمز

الصحافة الساخرة تظهر من جديد في العراق

بهرا ـ وكالات

بعد غياب استمر اكثر من اربعين عاما، عادت الصحافة الهزلية مجسدة في الكاريكاتور المتحرر من القيود الى الظهور مجددا في العراق عبر اطلاق مجلة "الفلقة" التي تعتمد الكتابات الساخرة والانتقادات اللاذعة. ويقول رئيس تحرير المجلة التي بدأت تصدر في كانون الاول الماضي الرسام حمودي عذاب "منذ منتصف السبعينات حتى قبل سقوط النظام السابق، تحول فن الكاريكاتور الى مجرد نوع من السخرية السطحية (...) كان فنا مقيدا لا يسمح له بالتوغل في معاناة العراقيين اليومية". ويضيف "بعد المتغيرات في البلاد، وجدنا فضاءا واسعا من الحرية وهذا ابرز اسباب ظهور هذا الفن الساخر مرة اخرى عبر اطلاق (الفلقة) التي تدافع عن الطبقات الشعبية والمسحوقة وتحض السياسيين والحكومة على الرأفة بالعراقيين".

يشار الى ان الكاريكاتور كان منذ سبعينات القرن الماضي موظفا في خدمة محاور ايدولوجية بعيدة كل البعد عن هموم الناس. و"الفلقة" مفردة شعبية تعني انزال العقاب بشخص عبر رفع قدميه وربطهما ليتلقى ضربا بعصا رفيعة. وشعار المجلة عراقي يتعرض للضرب بهذه الطريقة. وقد ظهرت الصحافة الساخرة المعتمدة على الكاريكاتور في العراق ابان ثلاثينات القرن الماضي وبينها مجلتا "القنديل" و"المتفرج" وصحيفتا "حبزبوز" و"قرندل" ومن اشهر كتابها نوري ثابت وحميد المحل واخرون.

وكانت هذه المطبوعات تستخدم التعابير البغدادية لغويا والملابس الشعبية والملامح المحلية في رسومها، وقد واصلت مسيرتها حتى الخمسينات.

ويتابع عذاب ان المجلة "تصدر شهريا وتوزع منها ثلاثة الاف نسخة وليس هناك من يمولها، وهذا هو هدفنا لتكون مستقلة عن تأثيرات حزبية او طائفية، والعاملون فيها متطوعون بدون اجور بل يعتمدون على ايراداتها".

وحول ردود فعل السياسيين على الانتقادات التي توجهها المجلة، يقول ان "المسؤولين يتعاملون مع ما نطرحه بحساسية ويتقبلونه مرغمين لاننا لا نعتمد التجريح (...) ونذكرهم بان عليهم ان يتقبلوا الانتقاد الصريح في العراق الجديد".

يشار الى ان الكاريكاتور بقي غائبا عن الصحف اليومية بعد متغيرات العام ٢٠٠٣ باستثناء عدد قليل منها لا يزال يخصص له مساحة لانتقاد الوقائع الحياتية وخصوصا ما يتعلق بالخدمات.

وشهد فن الكاريكاتور منتصف الستينات طفرة نوعية بعد التأثر بمدارس خارجية، وظهرت خلال تلك الفترة اسماء بينها بسام فرج وغازي الخطاط وبعدهما ضياء الحجار والراحل مؤيد نعمة.

وتتناول صفحات "الفلقة" احداثا محلية وسياسية عبر تعليقات ورسوم كاريكاتورية تعكس ما يتعرض له مواطنون من قبل بعض الدوائر الرسمية، وتكشف ما يجري فيها بعيدا عن اي رقابة او محاسبة حكومية.

ويقول الاعلامي جمال كريم "لفن الكاريكاتور تأثيره القوي والمباشر على مختلف فئات المجتمع، فهو قادر على التقاط اكثر مظاهر الفساد السياسي او الاداري او المالي التي يخشاها المفسدون".

ولا يقتصر ظهور الكاريكاتور على بغداد، فقد شهد اقليم كردستان ظهوره ابان تسعينات القرن الماضي.

ويؤكد الكاتب الكردي عبد الرحمن باشا ان "اول ظهور حقيقي للكاريكاتور في كردستان كان بعد انتفاضة اذار عندما توافرت اجواء من الحرية. وظهرت مجلتان لعام ١٩٩٧، الاولى في السليمانية (سيخورمه) والثانية في اربيل (ملا مشهور)". ويضيف ان "المسؤولين الحكوميين لم يألفوا هذا النوع من الصحافة ولم يستسيغوا اعمال رسامي الكاريكاتور والكتابات الساخرة، وقد تعرض الكثير من الرسامين والكتاب الى التهديد بينما كانت الاوضاع غير مستقرة في اقليم كردستان آنذاك".

ويتابع ان "صحافة الكاريكاتور في اقليم كردستان قطعت شوطا كبيرا وظهرت مطبوعات جديدة منها مجلة (دهوك تايمز) و صحيفة (كه ب) التي تتناول الظواهر الاجتماعية والقضايا الساخنة ولو بدرجة اقل".

من جهته، يرى الصحافي سامي حسن ان "الكاريكاتور سلاح ذو حدين، فهو يضحك ويبكي في آن واحد (...) ويمكن للرسام من خلال تعليق بسيط ان يفك الغازا محيرة للقراء في بعض الاحيان (...) والبساطة في نقل الفكرة الى الواقع مطلوبة في مجتمعنا حاليا لكثرة المشاكل التي نعانيها".

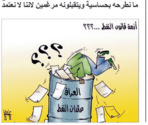اما رسام الكاريكاتور احمد الربيعي من صحيفة "الصباح الجديد" فيقول ان "الصحافة هي المكان الطبيعي للكاريكاتور لانه يتحدث بجرأة عن قضايا الناس وهمومهم بشكل ساخر، ويعتمد المفارقة والمبالغة لوضع الخطأ بشكل مؤثر امام القارىء حتى يصبح مكروها من جانب المسؤولين".